296 - ـ فصل : إنما تؤتى البيوت من أبوابها .

شكا لي رجل من بغضه لزوجته ثم قال : ما أقدر على فراقها لأمور منها كثرة دينها علي و صبري قليل و لا أكاد أسلم من فلتات لساني في الشكوى و في كلمات تعلم بغضي لها .

فقلت له : هذا لا ينفع و إنما تؤتى البيوت من أبوابها فينبغي أن تخلو بنفسك فتعلم أنها إنما سلطت عليك بذنوبك فتبالغ في الإعتذار و التوبة .

فأما الضجر و الأذى لها فما ينفع كما قال الحسن بن الحجاج : [عقوبة من ا لكم فلا تقابلوا عقوبته بالسيف و قابلوها بالإستغفار] .

و اعلم أنك في مقام مبتلي و لك أجر بالصبر { و عسى أن تكرهوا شيئا و هو خير لكم } .

فعامل ا سبحانه بالصبر على ما قضى و إسأله الفرج .

فإذا جمعت بين الاستغفار و بين التوبة من الذنوب و الصبر على القضاء و سؤال الفرج حصلت ثلاثة فنون من العبادة تثاب على كل منها .

و لا تضيع الزمان بشيء لا ينفع و لا تحتل ظانا منك أنك تدفع ما قدر { و إن يمسسك ا بضر فلا كاشف له إلا هو } .

و قد روينا أن جنديا نزل يوما في دار أبي يزيد فجاء أبو يزيد فرآه فوقف و قال لبعض أصحابه : أدخل إلى المكان الفلاني فاقلع الطين الطري فإنه من وجه فيه شبهة فقلعه فخرج الجندي .

و أما أذاك للمرأة فلا وجه له لأنها مسلطة فليكن شغلك بغير هذا .

و قد روي عن بعض السلف أن رجلا شتمه فوضع خده على الأرض و قال : [اللهم إغفر لي الذنب الذي سلطت هذا به علي] .

قال الرجل : و هذه المرأة تحبني زائدا في الحد و تبالغ في خدمتي غير أن البغض لها مركوز في طبعي .

قلت له : فعامل ا سبحانه بالصبر عليها فإنك تثاب .

و قد قيل لأبي عثمان النيسابوري : ما أرجى عملك عندك ؟ .

قال : كنت في صبوتي يجتهد أهلي أن أتزوج فأبى .

فجاءتني امرأة فقالت : يا أبا عثمان إني قد هويتك و أنا أسألك با أن تتزوجني .

فأحضرت أباها ـ و كان فقيرا ـ فزوجني و فرح بذلك .

فلما دخلت إلي رأيتها عوراء عرجاء مشوهة .

و كانت لمحبتها لي تمنعني من الخروج فأقعد حفظا لقلبها و لا أظهر لها من البغض شيئا و كأني على جمر الغضا من بغضها .

فبقيت هكذا خمس عشرة سنة حتى ماتت فما من عملي شيء هو أرجى عندي من حفظي قلبها .

قلت له : فهذا عمل الرجال و أي شيء ينفع ضجيج المبتلي بالتضجر بإظهار البغض .

و إنما طريقه ما ذكرته لك من التوبة و الصبر و سؤال الفرج .

و تذكر ذنوبا كانت هذه عقوبتها .

فإن وقع فرج في الحساب و إلا فإستعمال الصبر على القضاء عبادة .

و تكلف إظهار المودة لها و إن لم تكن في قلبك تثبت على هذا .

و ليس للقيد ذنب فيلام إنما ينبغي التشاغل مع من قيده و السلام